في رياض الشعر

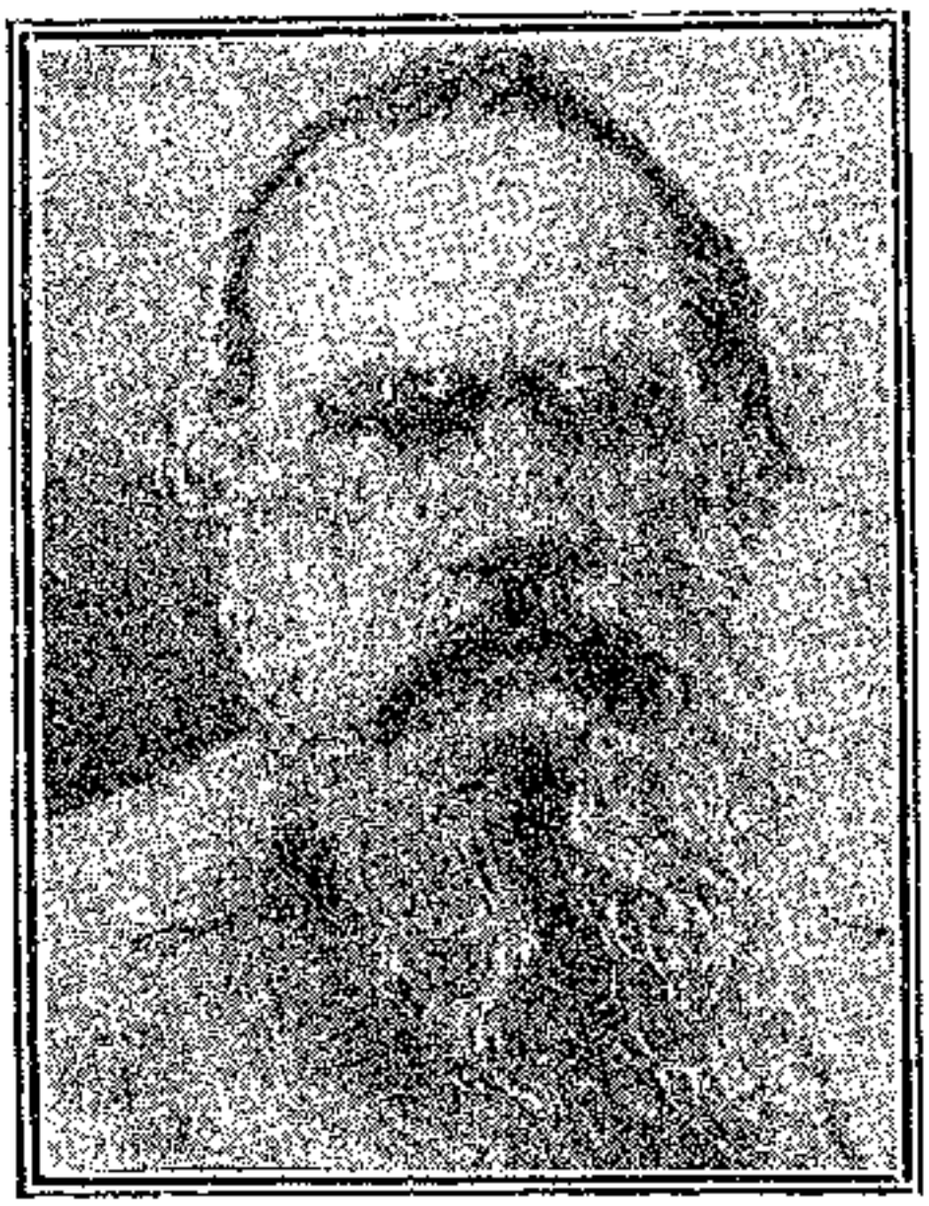

الفيلسوف تولستوي الروسي

(راجع ما كتبناه بشأنه في العدد الفائت ص ٤٣٢)

كتب حضرة الالمعي مدير « الجريدة » مقالة جميلة عن تولستوي ، فأرسل اليه سعادة احمد شوقي بك قصيدة في ذلك الموضوع رأى ان يجمع فيها « بين حكيم هذا العصر ، الكونت تولستوي ، و بين حكيم الدهر ، فخر الضاد ، ابي العلاء المعري » وقد طرق الموضوع نفسه حضرة حافظ افندي ابرهيم فرأينا ان نتحف القراء بدرر القصيدتين :

حكيم العصر وحكيم الدهر

(تولستوي) تجري آيةُ العلم دمعَها عليك ويبكي بائسٌ وفقيرُ

وشعب ضعيف الركن زال نصيره　　وما كلّ يومٍ للضعيف نصيرُ
ويندب فلاحون أنتَ منارهم　　وانت سراج غيّبوه منيرُ
يعانون في الاكواخ ظلماً وظلمة　　ولا يملكون البثّ وهو يسيرُ
تطوف كعيسى بالحنان وبالرضى　　عليهم وتغشى دورَهم وتزورُ
ويأسى عليك الدين اذ لك لبُّه　　وللخادميه الناقمين قشورُ
أيكفر بالانجيل من تلك كتبه　　أناجيل منها منذرٌ وبشيرُ
وتبكيك إلفٌ فوق (ايلى) ندامةً　　غداة مشى (بالماريّ) سريرُ
تناول ناعيك البلاد كأنهُ　　يراعٌ له في راحتيك صريرُ
وقيل تولى الشيخ في الارض هائماً　　وقيل بدَيرِ الراهبات أسيرُ
وقيل قضى لم يغن عنه طبيبه　　وللطب من بطش القضاء عذيرُ
اذا أنت جاورت (المعري) في الثرى　　وجاور (رضوى) في التراب (ثبيرُ)
واقبل جمع الخالدين عليكما　　وغالى بمقدار النظير نظيرُ
جماجم تحت الارض عطرتها شذى　　جَنَاهُنَّ مسك فوقها وعبيرُ
بهنَّ تباهى بطن حوّاء واحتوى　　عليهنَّ بطنُ الارضِ فهو فخورُ
فقلْ يا حكيم الدهر حدّث عن البلى　　فانتَ عليمٌ بالامورِ خبيرُ
أحطت من الموتى قديماً وحادثاً　　بما لم يحصِّل منكر ونكيرُ
طوانا الذي يطوي السموات في غد　　وينشرُ بعد الطيّ وهو قديرُ
تقادم عهدانا على الموت واستوى　　طويل زمان في البلى وقصيرُ
كأنْ لم تضقْ بالامس عني كنيسة　　ولم يؤوِني دير هناك طهورُ
أرى راحةً بين الجنادل والحصى　　وكلُّ فراش قد أراح وثيرُ

نظرنا بنورِ الموت كل حقيقةً وكنا كلانا في الحياة ضريرُ
اليك اعترافي لا لقُسٍّ وكاهنٍ ونجواي بعد الله وهو غفورُ
فزهدُك لم ينكره في الارض عارف ولا متعالٍ في السماء كبيرُ
بيان يُشمُّ الوحيُ من نفحاته وعلم كعلم الانبياء غزيرُ
سلكتُ سبيل المترَفين ولذَّني بنونَ ومالٌ والحياة غرورُ
اداة شتائي الدفءُ في ظل شاهق وعدة صيفي جنة وغديرُ
ومُتِّعتُ بالدنيا ثمانين حجةً ونضَّر ايامي غنًى وحبورُ
وذكر كضوء الشمس في كل بلدة ولا حظّ مثل الشمس حين تسيرُ
فما راعني الا عذارى اجرنني وربَّ ضعيفٍ تحتمي فيُجيرُ (١)
اردتُ جوارَ الله والعمر منقض وجاورته في العمر وهو نضيرُ
صبًا ونعيمٌ بين اهلٍ وموطنٍ ولذّاتُ دنيا كل ذاك نُذُورُ
بهنَّ وما يدرينَ ما الذنب خشيةٌ ومن عجبٍ تخشى الخطيئةَ حورُ
اوانسُ في داجٍ من الدير موحشٍ ولله انسٌ في القلوب ونورُ
واشبه طهرٍ في النساء بمريم فتاةٌ على نهجِ المسيح تسيرُ
تسائلني هل غيّر الناس ما بهم وهل حدثت غير الامور أمورُ
وهل آثر الاحسان والرفقَ عالمٌ دواعي الاذى والشر فيه كثيرُ
وهل سلكوا سبلَ المحبة بينهم كما يتصافى أسرة وعشيرُ
وهل آن من أهل الكتاب تسامح خليقٌ بآدابِ الكتابِ جديرُ
وهل عالج الاحياء بؤساً وشقوة وقلَّ فسادٌ بينهم وشرورُ

(١) اشارة الى هربه الى الدير

قم انظر وانت المالئ الارض حكمة　　أأجدى نظيمٌ ام افاد نثيرُ
اناس كما تدري ودنيا بحالها　　ودهرٌ رخيٌّ تارةً وعسيرُ
واحوال خلقٍ غابرٍ متجدّدٍ　　تشابه فيها اوّلٌ واخيرُ
تمرّ تباعاً في الحياة كأنها　　ملاعب لا تُرخى لهنّ ستورُ
وحرص على الدنيا وميل مع الهوى　　وغشٌ وإفك في الحياة وزورُ
وقام مقام الفردِ في كل امةٍ　　على الحكم جمٌّ يستبد غفيرُ
وحُوِّرَ قولُ الناس مولى وعبده　　الى قولهم مستأجر واجيرُ
واضحى نفاذ المال لا امر في الورى　　ولا نهي الا ما يرى ويشيرُ
تُساس حكومات به وممالك　　ويُذعن افيالٌ له وصدورُ
وعصر بنوه في السلاح وحرصه　　على السلم يجري ذكرها ويديرُ
ومن عجب في ظلها وهو وارف　　يصادف شعباً آمناً فيغيرُ
ويأخذ من قوت الفقير وكسبهِ　　ويؤوي جيوشاً كالحصى ويميرُ
ولما استقلّ البرَّ والبحرَ مذهباً　　تملّق أسبابَ السماء يطيرُ

شوقي

***

رثاك امير الشعر في الشرق وانبرى　　لمدحك من كتّاب مصر كبيرُ
ولستُ أُبالي حين ارثيك بعده　　اذا قيل عني قد رثاهُ صغيرُ
فقد كنتَ عوناً للضعيف وانني　　ضعيفٌ ومالي في الحياة نصيرُ
ولستُ ابالي حين ابكيك للورى　　حوتك جنانٌ أو حواك سعيرُ
فاني أُحبُّ النابغين لعلمهم　　وأعشق روض الفكرِ وهو نضيرُ

دعوتَ الى عيسى فضجتْ كنائسٌ وهزَّ لها عرش وماد سريرُ
وقال اناس انهُ قول ملحدٍ وقال اناس انهُ لبشيرُ
ولولا حطامٌ ردّ عنك كيادهم لضقت به ذرعاً وساء مصيرُ
ولكن حماك العلم والرأي والحجى ومالٌ اذا جدَّ النزال وفيرُ
اذا زُرتَ رهن المحبسين[1] بحفرة بها الزهدُ ثاوٍ والذكاء ستيرُ
وأبصرت انس الزهد في وحشة البلى وشاهدت وجه الشيخ وهو منيرُ
وايقنتَ انَّ الدين لله وحدَهُ وانَّ قبورَ الزاهدين قصورُ
فقِفْ ثم سلّم واحتشم ان شيخنا مهيبٌ على رغم الفناء وقورُ
وسائله عما غاب عنك فانه عليمٌ باسرار الحياة بصيرُ
يخبّرك الاعمى وان كنت مبصراً بما لم تخبرْ احرفٌ وسطورُ
كاني بسمع الغيب اسمع كلماً يجيب به استاذنا ويجيرُ
يناديك اهلاً بالذي عاش عيشنا ومات ولم يدرج اليه غرورُ
قضيت حياة ملؤها البرّ والتقى فانتَ باجر المتقين جديرُ
وسموك فيهم فيلسوفاً وامسكوا وما انت الا محسن ومجيرُ
وما انت الا زاهدٌ صاح صيحةً يرنّ صداها ساعةً ويطيرُ
سلوت عن الدنيا ولكنهم صبوا اليها بما تعطيهم وتميرُ
حياة الورى حربٌ وانت تريدها سلاماً وأسباب الكفاح كثيرُ
أبت سُنّةُ العمران الا تناحراً وكدحاً ولو ان البقاء يسيرُ
تحاول رفع الشرّ والشرّ واقعٌ وتطلبُ محضَ الخير وهو عسيرُ

(١) يريد المعري

ولولا امتزاجُ الشرّ بالخير لم يقمْ دليلٌ على ان الاله قديرُ
ولم يبعثِ الله النبيين للهدى ولم يتطلع للسرير اميرُ
ولم يعشقِ العلياءَ حرٌّ ولم يسُدْ كريم ولم يرجُ الثراء فقيرُ
ولو كان فينا الخير محضاً لما دعا الى اللهِ داعٍ ان تبلّج نورُ
ولا قيل هـذا فيلسوفٌ موفَّقٌ ولا قيل هذا عالمٌ وخبيرُ
فكم في طريق الشرّ خيرٌ ونعمةٌ وكم في طريق الطيبات شرورُ
ألم ترَ اني قمت قبلك داعياً الى الزهد لا يأوي اليَّ ظهيرُ
أطاعوا ابيكيرا وسقراط قبله وخولفتُ فيما ارتئي واشيرُ
ومتُّ وما ماتت مطامع طامع عليهـا ولا ألقى القيادَ ضميرُ
اذا هُدمتْ للظلمِ دورٌ تشيدت له فوق اكتاف الكواكب دورُ
افاض كلانا في النصيحة جاهداً ومات كلانا والقلوب صخورُ
فكم قيل عن كهف المساكين باطل وكم قيل عن شيخ المعرّة زورُ
وما صدَّ عن فعل الاذى قول مرسل ولا راع مفتونَ الحياةِ نذيرُ

حافظ

وقد طرق هذا الموضوع ايضاً حضرة الاديبين احمد افندي نسيم وعبد الحليم افندي المصري . واطلعنا على قصيدتيهما بعد نشر ما تقدم فلم ينفسح المجال لنشرهما

يا ليل الصب متى غدُهُ

نشرنا المعارضة التي جاءتنا من شوقي بك لهذه القصيدة ، ثمَّ عارضها بعدهُ على صفحات الزهور ايضاً اعلام شعرائنا كصبري باشا والامير نسيب ارسلان وولي الدين بك يكن . ولا يزال البريد يحمل الينا من انحاء مختلفة معارضات كثيرة يحول دون نشرها ضيق المجال . منها واحدة لحضرة الاديب محمود افندي الناظر من ام دومه قال فيها :

اهوى رشأً لولاه لما قد حارب جسمي مرقدهُ ...
قد ضاعَ الوصلُ فيا أملي بحياةِ الدلِّ تؤيدُهُ
فالوجهُ سباني ابيضُهُ والشعرُ سباني اسودُهُ

وقال ايضاً حضرة الفاضل الشيخ محمود رمزي نظيم من قصيدة

العيشُ تولى ارغدُهُ فعسى بالوصل نجدّدُهُ
إن تنكر حبي او ولهي فلسانُ الدمع يؤيدُهُ ...
مولاي ومثلك لا يجفو صباً يهواه ويعبدهُ
ان راحَ اليومَ على املٍ من وصلك أيأسهُ غدُهُ
كم جمَّع من املٍ بلقا ثلك والهجرانُ يبدّدُهُ

وجاءنا ايضاً شيء بهذا المعنى من حضرة كاظم افندي الدجيلي من بغداد وقد تراكمت علينا المواد الشعرية ومعظمها من فطاحل شعرائنا في اجمل الموضوعات وسننشرها تباعاً في حينها . فنرجو من اصحابها صبراً وعذراً

ومن الطرف التي سنتحفُ بها قراءنا في العدد القادم مراسلات شعرية دارت بين سعادة الامير شكيب ارسلان اللبناني والمرحوم محمود سامي باشا البارودي ايام كان هذا منفياً في جزيرة سيلان ولم يسبق نشرها قبل الآن . وقد مكنتنا الصدف من تقديمها الى قراء « الزهور » قبل سواهم